

الصلح مع الله

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة ٢٠٠٠ م ١٤٢٠ هـ

الناشر : المكتب المصري الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابع : طريق مصر اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٤٤١٠٧٠ / ٧٤

عبد الحميد كشك

الصُّلْحُ مَعَ اللَّهِ

« وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون لعلكم تفلحون » .
صدق الله العظيم

المكتبة المصرية الحديث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى
الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول
الله خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد..

فهذا كتاب اشتاقت النفس إلى أن تخط سطورره وهى فى حال
من الوجد إلى ما عند الله فى جناته راجية ربها أن يهيبها لها
من الأعمال ما تصل به إلى الفردوس ونعيمه سائلة الله أن
يباعد بينها وبين أسباب الخذلان التى تزدى إلى النار وعذابها.
فاللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب
المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا
مفتونين نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة
المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال.

نقول وبالله التوفيق...

التوبة والزهد

نبدأ كتابنا هذا بالكلام عن التوبة، وهى خطوة ذات أثر عظيم فى حسن اللقاء والرجاء ومن ثم فإن الله تعالى أمرنا بها فقال (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

وقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نسوحا محسى ربكم أن يحفر عنكم سيئاتكم ويحفظكم جناتكم تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واخفر لنا إنك على كل شيء قدير).

وقال جل شأنه: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتهم وكان الله خفورا رحيمًا* ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا).

وفى كلام رسول الله ﷺ ما ينشرح له الصدر بنور الأمل فى رحمة الله الذى وسعت رحمته كل شىء فإليك يا أذى هذه الدرر النبوية.

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (رواه مسلم والنسائي).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه).

(رواه مسلم).

وعن صفوان بن عسال رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضة أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه).

(رواه الترمذى والبيهقى).

وفى رواية له وصححها أيضا قال زر يعنى -ابن حبيس- فما برح -يعنى صفوان- يحدثنى حتى حدثنى أن الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه).

(رواه أبو يعلى والطبرانى)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم).

(رواه ابن ماجة)

وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنبابة).

(رواه الحاكم)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب).

(رواه أبو يعلى)

وروى عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن واه راقع فسعيد من هلك على رقعته).

(رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط)

وقال معنى واه مذنب وراقع يعنى تائب مستغفر وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: (مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته وأن المؤمن يسهو ثم يرجع فأطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين) (رواه ابن حبان).

والمقصود بالآخية بمد الهمزة وكسر الخاء المعجمة بعدها ياء مثناه تحت مشددة هى حبل يدفن فى الأرض مثنيا ويبرز

منه كالعروة تشد إليها الدابة وقيل هو عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة.

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

(رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن عبدا أصاب ذنبا فقال يارب إنى أذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر فقال: يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى قال ربه: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر فقال: يارب إنى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء.

(رواه البخارى ومسلم)

قوله: فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ماشاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكذابين.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم) رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم. واللفظ له من طريقين قال فى أحدهما صحيح على شرط مسلم ولفظ ابن حبان وغيره: إن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت فى قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تملأ قلبه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالت قرىش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً فإن أصبح ذهباً اتبعناك. فدعا ربه فاتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة. (رواه الطبرانى)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يتغرغر): رواه ابن ماجه والترمذى ومعنى يتغرغر بغينين معجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبراء مكررة ومعناه ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذى يتغرغر به.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني. قال: (عليك بتقوى الله ما استطعت واذكر الله عند كل حجر وشجر وما عملت من سوء فاحدث له توبة السر السر بالسر والعلانية بالعلانية). (رواه الطبرانى والبيهقى)

وروى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظه ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب. (رواه الأصبهاني)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بطم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله. ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). (رواه الأصبهاني)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).

(رواه ابن ماجه والطبرانى، وراوه ابن أبى الدنيا والبيهقى)

والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه
وعن حميد الطويل قال: قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه
أقال النبي ﷺ الندم توبة قال نعم. (رواه ابن حبان)

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: (ما علم
الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه).

(رواه الحاكم)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه.
وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد
أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل
الرسل. (رواه مسلم)

والمقصود بالعذر: التوبة والندم يقول الله تعالى: (وهو الطيب

يقبل التوبة عن عباده).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: والذى
نفسى بيده لو لم تذنبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم. (رواه مسلم وغيره)

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من
جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول
الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال: أحسن
إليها فإذا وضعت فأتى بها ففعل فأمر بها نبى الله ﷺ فشددت

عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر:
تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبة لو
قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل
من أن جادت بنفسها لله عز وجل. (رواه مسلم)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول: كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته
امراة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد
الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أكرهتك؟
قالت لا، ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه إلا الحاجة
فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته قط اذهبي فهى لك وقل: لا والله
لا أعصى الله بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على
بابه: إن الله قد غفر للكفل. (رواه الترمذى وحسنه)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كانت قربتان إحداهما
صالحة والأخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد
القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختم فيه الملك
والشيطان فقال الشيطان والله ما عصانى قط فقال الملك: إنه قد
خرج يريد التوبة ففضى بينهما أن ينظر إلى أيهما أقرب
فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر فغفر له.

قال معمر وسمعت من يقول: قرب الله إليه القرية الصالحة.

(رواه الطبرانى بإسناد صحيح)

وعن أبي عبد ربه أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال إن الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لي من توبة؟ فقال: إن حدثت أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فاتهم تعبد الله معهم فتوجه إليهم فمات على ذلك فاجتمعت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله إليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأبهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب إلى دير التوابين بأنملة فغفر له. (رواه الطبراني)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله أشد فرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة) ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهراول).

(رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الله أشد فرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة. (رواه البخاري ومسلم)

وفي رواية لمسلم: الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد

أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح.

وعن الحرث بن سويد عن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجلى نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى: قال: ارجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته.

(رواه البخارى ومسلم)

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من أحسن فيما بقى غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقى أخذ بما مضى وما بقى.

(رواه الطبرانى بإسناد حسن)

أى من تاب إلى الله وأخلص فى حياته الآتية المستقبلة سامحه الله وعفا عنه ما عمله فى الأزمان السابقة تفضلا ومن أخطأ فى مستقبله حاسبه الله على الأعمال الماضية والمستقبلة ففيه الترغيب فى التوبة رجاء ستر الله لما عمله سابقا.

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت

عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى تخرج إلى الأرض.

(رواه أحمد والطبراني)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال يا رسول أوصني قال اعبد الله ولا تشرك به شيئا قال يا رسول الله زدني قال: إذا أسأت فاحسن وليحسن خلقك.

(رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد)

ورواه الطبراني بإسناد ورواته ثقات: عن أبي سلمة عن معاذ قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية.

ورواه البيهقي في كتاب الزهد من رواية إسماعيل بن رافع المدني عن ثعلبة ابن صالح عن سليمان بن موسى عن معاذ قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فمشى قليلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى إماما

عادلا وأن تفسد فى الأرض يا معاذ اذكر الله عند كل شجر
وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية.

وعن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول
الله ﷺ قال: اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن. (رواه الترمذى)

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى
الله عنهما أن النبى ﷺ قال: (سنة أيام، ثم اعقل يا أبازر ما يقال
لك بعد فلما كان اليوم السابع قال: أوصيك بتقوى الله قى سر
أمرك وعلانيته وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحدا شيئا وإن سقط
سوطك ولا تقبض أمانة).

ينصح رسول الله ﷺ بأربعة:

١- التقوى.

٢- إتقان العمل والتوبة عند الإساءة ثم الإحسان.

٣- الإعتماد على النفس.

٤- عدم قبول الودائع إذا أنس الإنسان عدم حفظها.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله
أوصنى قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. قال: قلت يا
رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هى أفضل
الحسنات. (رواه أحمد)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أن رجلا أصاب من امرأة قبله وفي روايه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها مادون أن أمسها فأنا هذا فاقض فى ما شئت فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك. قال: ولم يرد عليه النبي ﷺ شيئا، فقال الرجل فانطلق فاتبعه النبي ﷺ رجلا فدعاه فتلا عليه هذه الآية: (واقم الصلاة طمئينا الزمار ودلنا من الليل إن العسائير يذهبون السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: بل للناس كافة. (رواه مسلم)

وعن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: فهل أسلمت؟ قال: أما أنا فاشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال: تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن قال: وغدراتى وفجراتى؟ قال: نعم قال: الله أكبر، فما زال يكبروا حتى توارى.

(رواه البزار والطبرى واللفظ له وإسناده جيد قوى)

وبعد فنقول وبالله التوفيق ما حقيقة التوبة:

قال الغزالي التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور علم وحال وفعل. أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب

وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تآلم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مبهما شعر بفوات محبوبه تآلم فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تآلمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما إذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فيتلافى مافات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر، فالعلم هو الأول، وهو مطلع هذه الخيرات وأعنى بهذا العلم الإيمان واليقين فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتآلم بها القلب بحيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس، وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحصار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافى للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها.

وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترک كالثمرّة والتابع المتأخر، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام: (الندم توبة) إذ لا يخلو الندم من علم أوجبة وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه، قيل فى حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ أو نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لا ينشعب أو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال.

واعلم أن وجوب التوبة ظاهر بقوله ﷺ من حديث مسلم (يا أيها الناس توبوا إلى الله) وقول الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون).

وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) والنصوح الخالص لله تعالى الخالى من الشوائب، ويدل على فضل التوبة قول الله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

قال الغزالي: (وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته، وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى

خطوة وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه، وكذلك الناس فى طريق الدين إما قاصر يفتقر إلى سماع نص من كتاب الله وسنة رسوله أو سعيد يتنبه بأدنى إشارة بسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور الإيمان. ثم قال معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان، ولا يتصور إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان والشهوات جنود الشيطان، والعقول جنود الملائكة، وتكمل الشهوات فى الصبا والشباب فإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات الملازمة للإنسان كما حكى الله تعالى عن إبليس (أحتتكن ذريته إلا قليلا).

وقد قيل:

فلا تحسبن هندا لها العذر وحدها

سجية نفس كل غانية هند

فالتوبة فرض عين فى حق كل شخص وكل بشر لا يخلو من معصية بجوارحه.

وفى بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

أولا: الإصرار والمواظبة.

ثانيا: أن يستصغر الذنب.

ثالثا: أن يفرح بالصغيرة ويتبجح بها.

رابعا: وأن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإهماله إياه كما قال تعالى: (ويقولون فيى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جنةم يحلونها فنبس المسير).

خامسا: أن يذكر الذنب بعد إتيانه، أو يأتيه فى مشهد غيره.
سادسا: أن يكون المذنب عالما يقتدى.

شروط التوبة:

(أ) الندم: أى توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب، وعلامته طول الحسرة وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر.

(ب) أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذا بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع.

أقسام العبادة فى دوام التوبة

أولاً: أن يتوب العاصى ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه وتسمى التوبة النصوح وتسمى هذه النفس بالنفس الساكنة المطمئنة الراضية.

ثانياً: تائب سلك طريق الإستقامة فى أمهات الطاعات وتوك الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن الذنوب يقترفها لأعن عمد وتجريد وقصد، ولكن يبتلى بها ثم يندم وتسمى النفس اللوامة قال تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللغز إن ربك واسع المغفرة).

ثالثاً: أن يتوب ويستمر على الإستقامة مدة ثم تغلبه الشهوة فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وترك جملة من الذنوب مع القدرة، والشهوة إنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات، هو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفها شرها وعند الفراغ يتندم وتسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم طمأنا أعمالنا صالحا وأخر سينا محسب اللهم ان يتوب عليهم).

رابعاً: أن يتوب ويجرى مدة على الإستقامة، ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصيرين، وهذه النفس هى الأمانة بالسوء الفرارة من الخير، ويخاف على هذا سوء الخاتمة، وامره فى مشيئة الله، نسال الله حسن الخاتمة.

والحسنة المكفرة للسيئات إما بالقلب بالتضرع إلى الله تعالى فى سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الأبق ويضمير الخير للمسلمين والعزم على الطاعات، وإما باللسان بالإعتراف بالظلم والإستغفار فيقول: رب ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفرلى ذنوبى ويكثر من ضروب الإستغفار وإما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات. وفى الآثار مايدل على أن الذنب إذا اتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا:

أربعة من أعماق القلب، وهى التوبة أو العزم على التوبة، وحب الإقلاع عن الذنب، وتخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح: وهى أن تصلى عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوماً. وفى بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلى ركعتين. وفى بعض الأخبار تصل أربع ركعات.

وكان بعض الصحابة يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فىنا وبقي الإستغفار معنا، فإن ذهب هلكنا، قال

الله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون).

فوائد التوبة كما قال ﷺ:

أ - يتجلى الله تعالى على التائب برضوانه وإحسانه (يبسط يده).

ب - تفتح له أبواب رحماته فتدركه نعمه (باب مفتوح).

ج - تدل توبته على سعادته وانعامه وقبوله.

د - يعد من خير الناس التواب.

هـ - يسعه حلم الله وعفوه (غفرت لعبدي).

و - ويجلى قلبه بالتوبة ويزيل الصدا (الران).

ز - ويدخل فى الصالحين الذين زهدوا فى الذهب واختاروا التوبة (الصفا ذهباً).

ح - يغير التائب صحائف أعماله بأحسن منها بتشديد الصالحات والمحامد (فأحدث توبة).

ط - يأمل التائب أن ينال من خيرات الله وكراماته (النادم ينتظر).

ى - ربما تصادفه العناية بالسعادة بسبب التوبة فيدخل الجنة (الكفل).

- ك - قد تكون العزيمة مسببة لغفران الكبائر (قاتل مائة).
- ل - يحظى بفرح ربه به (الله أفرح).
- م - يقبل الله تعالى على التائب أضعاف أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته (أهرول).
- ن - قد تسبب التوبة غفران الماضى والإحسان فى المستقبل (من أحسن فيما بقى).
- س - يوسع التائب على نفسه ويزيل الضيق ويذهب الهم ويبعد الكروب (عمل حسنة فانفكت حلقة).
- ع - يعمل التائب بسنة رسول الله ﷺ وبوصيته (إذا أسأت فأحسن).

وقد سمي علماء الصوفية النفس بحسب قربها إلى ربها بالطاعة، وإخلاص العبادة والإستقامة.

أ - المطمئنة.

ب- اللوامة.

ج- المسولة.

د - الأمانة بالسوء.

أيها الأخ الكريم جدد معى التوبة لله واعزم على طاعة الله والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله رجاء أن يقبلنا الله الذى غمرنا بنعمائه وحبانا بأفضاله الجدير بعبادته، والإخلاص له

والخوف منه كما قال تعالى: (أمن يمشي مكباً على وجهه
 أصمى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيمه)، (قل هو الله
 أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون* قل
 هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تمشرون).

ما أجمل ما قاله الإمام الغزالي في التوبة (إن التوبة عن
 الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق
 السالكين ورأس مال، الفائزين وأول أقدام المريرين ومفتاح
 استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والإجتباء للمقربين، ولأبينا
 آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين.

وأما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد فلا غرو إن أذنب
 الآدمي وأجترم، فهي شئنة يعرفها من أخزم ومن أشبه آباه فما
 ظلم. ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم فليكن
 النزوع إليه في كلا طرف النفي والإثبات والوجود والعدم، ولقد
 قرع آدم سن الندم وتندم على ماسبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة
 في الذنب دون التوبة فقد ذلت به القدم بل التجرد لمحض الخير
 دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية
 الشياطين والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة
 الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد
 للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان
 فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان واصطحب فيه سجتان
 وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك وإما إلى آدم أو إلى

الشیطان فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشیطان فإما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخیر فخارج عن حيز الإمكان فإن الشر معجون مع الخیر فی طينة آدم عجا محكما لا یخلصه إلا إحدى النارین نار الدم أو نار جهنم فالإحراق بالنار ضروری فی تخلص جوهر الإنسان من خبائث الشیطان وإليك الآن اختیار أهون النارین والمبادرة إلى أخف الشرین قبل أن یנטوی بساط الإختیار ویساق إلى دار الاضطرار إما إلى الجنة وإما إلى النار وإذا كانت التوبة موقعها من الدین هذا الموقع وجب تقدیمها فی صدر ربع المنجیات بشرح حقیقتها وشروطها وسببها وعلاماتها وثمراتها والآفات المانعة منها والأدویة المیسرة لها ویتضح ذلك بذكر أربعة أركان الركن الأول فی نفس التوبة وبيان حدها وحقیقتها وإنها واجبة على الفور وعلى جمیع الأشخاص وفي جمیع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر.

والركن الثالث: فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك مامضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة.

الركن الرابع: فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الإصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل.

جاء فى كتاب تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب مانصه عن التوبة (هى أصل كل مقام وحال وأولى المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا توبة له لا حال له ولا مقام كما أن من لا أرض له لا بناء له وهى الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة ويقال من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء من نظر الله فهو منيب.

ومن رجع تعظيما لجلال الله تعالى فهو أواب. فعلى العبد المبادرة بالتوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والأغلال ولينجو من هلاك الأبد ويظفر السعادة السرمذ والقرب من باب الله تعالى ورحمته وينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه. فإن أكثر العبادات نفل والتوبة فرض ولا يقبل النفل قبل الفرض، وهى واجبة بالآيات والإخبار قال تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون).

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا عازما على عدم العود ومن تاب ظاهرا فقط فهو كمثل مزبلة بسط عليها ديباح والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها فإذا كشف عنها عرضوا عنها. فكذلك الخلق ينظرون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشف الغطاء يوم القيامة (يوم تبلى السرائر) أعرضت الملائكة عنهم. ولذا قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم). (رواه مسلم)

قوله تعالى: (إن الله يحب المتطهرين) وإذا أحبهم غار عليهم أن يتطلع أحد على نقص فيهم فيستر عليهم ومن كرم الله تعالى على عباده أنهم إذا فعلوا معصية ثم تابوا ثم فعلوها ثم تابوا قبل الله توبتهم قيل لما أنظر الله إبليس قال وعزتك لأخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال سبحانه وعزتي لا أمنعهم التوبة مادامت أرواحهم في أجسادهم قال إبليس لأغوينهم أجمعين. فقال تعالى: (الضحرون منهم سيئاتهم) قال إبليس لأتينيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم.

فلما قال ذلك رقت قلوب الملائكة على البشر فأوحى الله تعالى إليهم أنه بقى للإنسان جهة الفوق والتحت فإذا رفع يديه بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له الذنوب ولا أبالي.

قال ﷺ: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها). (رواه مسلم والنسائي).

فلا يقبل حينئذ إيمان الكافر ولا توبة المؤمن وهو معنى قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو حسبتني إيمانها خيرا).

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح والبيهقي واللفظ له مرفوعا: (إن من قبل المغرب لباب مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه).

وروى الشيخان مرفوعا: (إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت فاغفره فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت آخر فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء).

قال الحافظ بن حجر في الفتح ومعنى قوله: (فليعمل ما شاء أنه مادام يذنب ويستغفر ويتوب فأنا أغفر له وتكون توبته واستغفاره كفارة لذنبه لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعود إلى مثله فإن هذه توبة الكاذبين) وقال إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه أحمد والترمذي يعني أن توبته مقبولة ما لم يبلغ الروح الحلقوم، إذ عند ذلك

يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هول وشدة فلا تنفعه حينئذ توبته ولا إيمان الكافر لأن من شرطها العزم على ترك الذنب وعدم العود إليه وإنما يتحقق ذلك إذا أمكن التائب وهذا لا يمكنه وقال (لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب عليكم).

(رواه ابن ماجة وإسناده حسن)

وقال: (التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له).

(رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب)

وقال ﷺ (إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ)

(رواه أبو نعيم في الحلية)

وفى بعض الآثار: (ما من صوت أحب إلى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب: لبيك يا عبدى سل ما تريد أنت عندي كبعض ملائكتي وأنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك أشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له).

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض ومقامه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه) (رواه الأصبهاني)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فأتوا النبي ﷺ فقالوا: إن الذى تدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل

(والذين لا يندمون مع الله إنما آخروا ولا يقتلون النفس التي حرمه الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما* يخاطبهم له العذاب يوم القيامة ويخطب فيه مهانا* إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتهم وكان الله بغيره رحيما).
ونزل (قل يا محاببي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

(رواه الشيخان وغيرهما)

وعن مكحول: أن إبراهيم عليه السلام لما كشف له عن ملكوت السماوات والأرض أبصر عبدا يزني فدعا عليه فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبدا يسرق فدعا عليه فأهلكه الله تعالى ثم رأى عبدا على معصية أخرى فأراد أن يدعو عليه فقال الله تعالى: يا إبراهيم دع عنك عبادي فإن عبدى بين ثلاث خصال: بين أن يتوب فأتوب عليه وبين أن استخرج له ذرية تعبدنى وبين أن يغلب عليه الشقاء فمن ورائه جهنم.

وشروط التوبة: الندم على الذنوب الماضية والعزم على أن لا يعود ورد المظالم إلى أربابها ثم ورثتهم ثم التصديق عنهم واستحلال الخصوم ثم الإحسان إليهم إن أمكن ويجب قضاء الفوائت من الفرائض.

وينبغي بعد التوبة تربية النفس فى طاعة كتربيتها فى معصية وإذاقتها مرارة الطاعة كإذاقتها حلوة المعصية وترك خلان

السوء وإصلاح المأكل والمشرب والملبس ولا يتخلف عن التوبة بخوف وقوعه في الذنب فإن العبد إذا تاب قبل الله توبته ولا ينبغي اليأس من رحمة الله تعالى (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) بل ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى في كل وقت ولا يكون مصرا على الذنب فإن الراجع عن ذنبه لا يكون مصرا وإن عاد كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة). (رواه أبو داود والترمذي)

فلا يليق من العبد تركها مخافة الوقوع في ذنب آخر فإنه ظن أدخله الشيطان في قلبه ليسوفها أي يؤخرها فينبغي أن لا يؤخرها فإن الأجل مكتوم لا يدري متى يفجؤه الموت أو المرض المفضى إليه.

ويجتهد في تحقيقها كل الإجتهد إذ راس مال المؤمن الإيمان وقد يزول الإيمان بفقد التوبة وشؤم التمادي في الذنوب فيبقى في نار جهنم حالدا مخلدا وقد ورد في الأثر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليمز

رب هب لى المتاب حتى اتوب

واعف عنى فقد عرتنى الذنوب

وعلى دين احمد فامتنى

واحى قلبى فى يوم تحيا القلوب

يامداو السقام داو سقامى

يا إلهى إنى عليك حسيب

واشف قلبى من الذى قد علاه

إن سقمى قد حار فيه الطيب

يا مداو العباد هب لى بقرب

حاش ان أرجوك ثم أخيب

وأقل عثرتى وجد لى بقرب

إن دائى بالقرب منك يطيب

تعسنت ليلة عصيتك فيها

قد تقضت واثمها لى نصيب

ما احتيالى وقد عصيتك جهلا

كيف لا أستحى وأنت الرقيب

قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: (وعزتى وجلالى لا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكا فى نور قدسى قل للبكائين من خشيتى أبشروا فإنكم أول من تنزل عليهم الرحمة إذا نزلت، قل للمذنبين من عبادى يجالسوا البكائين من خشيتى لعل أن أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين).

وقال ﷺ (ليس شىء أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله).

(رواه الترمذى والضياء).

واعلم يا أخى -وفقنى الله وإياك- أنه لا فائدة فى الإستغفار والقلب لاه مطموس مسود من كثرة الذنوب والغفلة عن التوبة فإنه لو صار يستغفر آناء الليل وأطراف النهار مع هذه الحالة لا يفيد شىء وربما كان سببا للوبال والدمار. ولذا قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

وعلامه قبول التوبة تظهر فى ثمانية أشياء:

الأول: أن يخاف فى امر لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة وفضول الكلام ويجعله مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن.

الثانى: أن يخاف فى امر بطنه فلا يدخل بطنه إلا حلالا.

الثالث: أن يخاف في أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة.

الرابع: أن يخاف في أمر يده فلا يمدها إلى الحرام وإنما يمدها إلى ما فيه الطاعة.

الخامس: أن يخاف في أمر قدميه فلا يمشى بهما في معصية الله تعالى وإنما يمشى بهما في طاعة الله تعالى.

السادس: أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء والحسد ويدخل فيه النصيحة والشفقة على المسلمين.

السابع: أن يخاف في أمر سمعه فلا يسمع إلا الحق.

الثامن: أن يخاف في أمر طاعته فيجعلها خالصة لوجه الله تعالى ويجتنب الرباء والنفاق.

وفي الآثار أن الله تعالى يقول: (أيها العبد إذا تبت ثم نقضت فلا تستحي أن ترجع إلينا ثانياً، وإذا نقضت ثانياً فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثاً، وإذا نقضت ثالثاً فارجع إلينا رابعاً، فأنا الجواد الذي لا أبخل، وأنا الحليم الذي لا أعجل، وأنا الذي أستر على العاصي، وأقبل التائبين وأعفو عن الخاطئين، وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين. من ذا الذي أتى إلى بابنا فرددناه، من ذا الذي لجأ إلى جنبنا فطردها، من ذا الذي تاب إلينا وما قبلناه، من ذا الذي طلب منا وما أعطيناه، من ذا الذي استقال من ذنبه فما غفرناه، أنا الذي أغفر الذنوب، وأستر العيوب، وأغيث المكروب، وأرحم الباكي الندوب، وأنا علام الغيوب. يا

عبدى قف على بابى أكتبك من أحبائى تمتع فى الأسحار
بخطابى أجعلك من طلابى، لذ بخضرة جنابى اسقك من لذيذ
شرابى، أهجر الأغيار والزم الافتقار وناد فى الاسحار بلسان
الذلة والإنكسار).

وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول: قال الله
تعالى: (يا ابن آدم إنك ماعدوتى ورجوتى غفرت لك على ما
كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم لو آتيتنى بقراب الأرض خطايا
ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة).

(رواه الترمذى)

وهذا الحديث يدل على سعة كرم الله تعالى ورحمته وجوده.
وقد روى الأصبهاني بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (النادم ينتظر من الله الرحمة
والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم
على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء
عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا
السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف، فإن الموت يأتى
بغته ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فإن الجنة والنار
أقرب إلى أحدكم من شرك نعله) ثم قرأ رسول الله ﷺ (ومن
يعمل مثقال حبة خيرا يره* ومن يعمل مثقال حبة شرا يره).

حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مر وقتا من الأوقات فى سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئا فقال له عمر: أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك- وكان خمرًا- فاستحى الشاب أن يقول خمر وقال فى سره إلهى إن لم تخجلنى عند عمر ولم تفضحنى وسترتنى عنده فلا أشرب الخمر أبدا وقال: يا أمير المؤمنين الذى أحمله خل. فقال عمر: أرنى حتى أراه فكشفها بين يديه فرأها عمر وقد صارت خلا نقيا.

فاعتبروا أيها الإخوان إن مخلوقا تاب من خوف عمر وهو أيضا مخلوق فبدل الله تعالى خمره بالخل فلو تاب العاصى المفلس المذنب عن الأعمال الفاسدة خوفا من الله تعالى فبدل الله خمر سيئاته بخل الطاعات لا يكون عجبا من لطفه وكرمه لقوله تعالى: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتهم وكان الله بخفورا رحیما).

وهكذا عشنا فى تنوير القلوب لحظات طيبة- أسأل الله أن ينور بها قلوبنا- كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، يقول: قرأت القرآن كله فما وجدت أرجى من قوله تعالى: (قل لعل يعمل على شاكلته) شاكلة العبد المعصية وشاكلة الرب المغفرة والرحمة.

وقال عمر رضى الله عنه: قرأت القرآن كله فما وجدت
أرجى من قوله تعالى (خافز الذنوب وقابل التوبف).

وقال عثمان رضى الله عنه: قرأت القرآن كله فما وجدت
أرجى من قوله تعالى (نبىؑ بمبأدى أنى إذا الغفور الرءىف).

وقال على كرم الله وجهه: قرأت القرآن كله فما وجدت
أرجى من قوله تعالى (قلؑ يا مبأدى الذين أسرفوا على أنفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور
الرءىف).

يا من له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذلك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى كرما فليس عليه ثم جناح منك
التكرم والتفضل والرضا أنت الإله المنعم الفتاح. حدث أيام
موسى عليه السلام أن أجدبت الأرض من قلة المطر فوقف
موسى يصلى بهم صلاة الإستسقاء ولم تنزل السماء مطرها
وأوحى الله إلى موسى أن فيكم عبدا عاصيا، وقال موسى لبنى
إسرائيل: من كان منكم عاصيا لله فليعتزلنا حتى لا يأخذنا الله
بشؤمه فلم يخرج منهم أحد وقام موسى فصلى مرة ثانية وأنزل
الله الماء من السماء مدرارا فقال موسى لربه ما أحلمك نزل
الماء ولم يخرج العاصى من بيننا، فقال له الله يا موسى لقد
تاب بينى وبينه توبة قبلتها منه، قال موسى يارب أتدلى من

هو؟ قال له الله: وكيف ذلك يا موسى سترته وهو عاص فكيف أفضحه بعد ما تاب وأناب.

سبحانك ربى.

فعلنا خطايانا وسترك مسبل

وليس لشيء أنت ساتره كشف

إذا نحن لم نخطيء وتعفو تكرما

فمن غيرنا يهفو وغيرك من يعفو

الطريق إلى الله:

أخا الإسلام اشتاقت النفس بعدما اندمجت فى الفيوضات الربانية والنفحات الإلهية والاتحافات السماوية اشتاقت إلى معرفة الطريق الموصل إلى الله وما أعظمه من طريق إنه طريق قد غمرته الأضواء الكاشفة الهادئة.. المستبصرة المؤدية إلى الجنة ونعيمها مع ضمان السعادة فى الدارين. (وإن هذا حراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصالحه به لعلكم تتقون).

وهل هناك أجل وأعظم من معرفة الطريق إلى الله إنه ذو معالم واضحة المسالك بينة المناهج إنه التوبة التى تغسل النفس من أرجاسها وأدناسها، ولتستمع أخى المسلم لما يقوله بعض أهل المعرفة فى مقام التوبة.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدهما: أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت التوبة تتعلق بأدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كان (أى حق الأدمي) حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوهِ وإن كانت غيبة استحلها منها ويجب أن يتوب من جميع الذنوب.

ومن شروط التوبة ترك السوء وهجر الأصحاب الفسقة الذين يحبون للمرء المعصية وينفرونه من الطاعة ثم الالتحاق بصحبة الصادقين الأخيار، كي تكون صحبتهم سبباً يردعه عن العودة إلى حياة المعاصي والمخالفات.

والمسلم لا ينظر إلى صغر الذنب بل ينظر إلى عظمة الوب اقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ فقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات) ولا يقف المسلم عند التوبة من المعصية بل يتوب من كل شيء يشغل قلبه عن الله تعالى.

يقول عبد الله التميمي رضى الله عنه شتان بين تائب وتائب.. فتائب يتوب من الذنوب والسيئات وتائب يتوب من الزلل والغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات.

فمن طهر قلبه من الآثام والأدناس وأشرفت عليه أنوار الإيناس لم يخف عليه ما يدخل قلبه من خفى الآفات ما يعكر صفوه حين يهم بالزلات فيتوب عند ذلك حياء من الله الذى يراه.

فتوبه لا تتبعها تقوى باطلة، وتقوى لاتظهر بها استقامة مدخولة، واستقامة لاورع فيها غير تامة، وورع زهدا قاصر وزهد لايشيد توكلأ يابس، وتوكل لاتظهر ثمرته بالانقطاع إلى الله عن الكل واللجا إليه صورة لا حقيقة لها فتظهر صحة التوبة عند اعتراض المحرم وكمال التقوى حيث لا مطلع إلا الله، ووجود الإستقامة بالتحفظ على إقامة الورد فى غير ابتداع ووجود الورع فى مواطن الشهوة عند الاشتباه، فإن ترك فكذاك وإلا فليس هنالك.

ومن المقامات القلبية المحاسبة وهى تهيئة الوازع الدينى فى النفس، وتربيتها على تنمية اللوم الباطنى الذى يجردها من كل ما يقف أمامها عقبة فى طريق الصفاء والمحبة والإيثار والإخلاص يقول النبى ﷺ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى).

ومن حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا إلى الإشتغال بالباطل إذ هو يشغلها بالطاعات ويلومها على التقصير مع الله تعالى خشية منه فكيف تجد سبيلا إلى اللهو والبطالة؟

قال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: ((من الخشية تكون المحاسبة ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله تعالى)).

روى أن رسول الله ﷺ خرج يوما من بيته يطوى بطنه على الجوع فالتقى بصاحبيه أبي بكر وعمر رضی الله عنهما فعلم منهما أن أمرهما كأمره وأنهما لا يجدان قوت يومهما والتقى بهم رجل من الأنصار لم تخذعه بشاشتهم فعلم أمرهم فاستضافهم فلما وصلوا إلى منزله وجدوا تمرا وماء باردا وظلا وارفا فلما تبلغوا بتمرات وشربوا من الماء، قال صلوات الله وسلامه عليه: (هذا من النعيم الذي تسألون عنه).

أليس في هذه اللفتة الكريمة من الرسول ﷺ نفحة ترمى إلى طبع النفس بطابع الوازع القوى الأحساس المرهف والشعور الدقيق والتبعية الكبرى والمسئولية الضخمة في كل تصرف تهدف إليه النفس بين حين وآخر؟

وإن المحاسبة لتثمر الشعور بالمسئولية تجاه الله تعالى، وتجاه خلقه، وتجاه النفس المكلفة بالتكاليف الشرعية من أوامر ونواه فبالمحاسبة يفهم الإنسان أنه ما وجد عبثا وإنه لا بد راجع إلى الله كما أخبر رسول الله ﷺ (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله،

ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم
وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى
إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار لو بشق تمره فمن لم يجد
فبكلمة طيبة).

ومن المقامات القلبية أيضا الخوف.

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

(أعلم أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع
مكروه في المستقبل وقد يكون ذلك من جريان ذنوب وقد يكون
الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف
لامحالة، وهذا أكمل وأتم لأن من عرف الله خافه بالضرورة
ولهذا قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وقد دعا الله تعالى عباده إلى الخوف منه وحده فقال (وإياي
فارهبون) ومدح الله المؤمنين ووصفهم بالخوف فقال (وإخافون
ربه من فوقهم) وجعل الله الخوف من شروط كمال الإيمان
فقال (وإخافون إن كنتم مؤمنين).

ووعده الله من خاف مقامه جنتين: جنة المعارف في الدنيا
وجنة الزخارف في الآخرة فقال: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
وجعل الله الجنة مأوى من خاف مقام ربه (وأما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الموى* فإن الجنة هي الماوى).

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعده (من بواعث العمل وجود الخشية وهى تعظيم يصحبه مهابة، والخوف هو انزعاج القلب من انتقام الرب).

وفى هذا المقام يصف سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه السيدة رابعة العدوية بأنها كانت كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكان موضع سجودها كهيئة الحوض الصغير من دموعها وكان النار ماخلفت إلا لأجلها، وسر ذلك الخوف إنما هو الاعتقاد بأن كل بلاء دون النار يسير وإن كل خطب دون البعد عن الله تعالى هين.

وليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه.

قال أبو سفيان الدراني رحمه الله تعالى (ما فارق الخوف قلبا إلا خرب) وليس الخائفون بمرتبة واحدة بل هم على مراتب فقال: خوف العامة من العقاب وفوات الثواب. وخوف الخاصة من العتاب وفوات الاقتراب، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب.

ومن المقامات القلبية أيضا الرجاء. والرجاء كما عرفه الشيخ أحمد زروق هو السكون لفضله تعالى بشواهد العمل فى الجميع وإلا كان اغترارا.

وقد حدثنا الله تعالى على الرجاء ونهانا عن القنوط من رحمته فقال سبحانه (قل يا محاببي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

وقال تعالى مبشرا بسعة رحمته (ورحمتي وسعت كل شيء).
وقال تعالى في وصف الذين يرجون رحمته (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله).

وجاء الحث على رجاء رحمة الله في كثير من الأحاديث الشريفة منها: ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم.

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟

فيقول رب أعرف قال: فإنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته).

يقول الله تبارك وتعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا).

فعلى العبد إن كان فى ريعان شبابه مقارفا للذنوب مطيعا لنفسه الشهوانية أن يغلب جانب الخوف على الرجاء أما إذا كلن فى نهاية عمره فعليه ان يغلب الرجاء كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى: (أنا عند ظن عبدى بى).

وكما قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى يرويه جابر بن عبد الله رضى الله عنه (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل).

وإن كان العبد مقبلا على ربه سالكا طريق قربه فعليه أن يجمع بين مقامى الخوف والرجاء لا يغلب الخوف على الرجاء حتى يقنط من رحمة الله تعالى وعفوه ولا يغلب الرجاء على الخوف حتى يسترسل فى مهاوى المعاصى والسيئات بل يطير بهما محلقا فى أجواء صافية فلا يزال فى قرب ودنو من الحضرة الإلهية قد حقق صفة هؤلاء الذين وصفهم الله بقوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا).

خوفا من ناره وطمعا فى جنته.. خوفا من بعده وطمعا فى قربه.. خوفا من قطيعته وطمعا فى وصاله.

وليس الراجون بمرتبة واحدة بل هم على مراتب ذكرها ابن عجيبة رحمه الله تعالى إذ قال: رجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب، ورجاء خاصة الخاصة التمكين من الشهود وزيادة الترقى فى أسرار الملك المعبود.

واعلم يا أبا الإسلام أنه لا بد للطالب سلوك سبيل النجاة والوصول إلى الله تعالى من أن يتحقق بصفات ثلاث: الصدق والإخلاص والصبر لأن جميع صفات الكمال لا يتحلى بها الإنسان إلا إذا كان متصفا بهذه الصفات الثلاث وكذلك لا تتم الأعمال إلا بها فإذا فارقت الأعمال فسدت ولم تنل القبول.

ولما كان الباعث على العمل الصالح والترقى فى مدارج الكمال هو الصدق نبتدىء بالكلام عليه أولا.

ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى للصدق معان ستة فقال (اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان: صدق فى القول، وصدق فى النية والإرادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم، وصدق فى العمل، وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق.

١- صدق اللسان يكون فى الأخبار وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلف فيه وقيل: فى المعارض مندوحة عن الكذب.

٢- صدق فى النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله تعالى.

٣- صدق فى العزم على العمل لله تعالى.

٤- صدق فى الوفاء بالعزم بتذليل العقبات.

٥- صدق فى الأعمال حتى لاتدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف به.

٦- الصدق فى مقامات الدين كالخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب.

وقد ذكر القاضى زكريا الأنصارى للصدق محلات ثلاث فقال: (الصدق هو الحكم المطابق للواقع ومحلّه اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى وصف يخصه فهو فى اللسان الإخبار عن الشيء على ما هو عليه. وفى القلب: العزم الأكيد وفى الأفعال: إيقاعها على وجه النشاط والحب. وسببه: الوثوق بخبر المتصف.

وثمرته: مدح الله والخلق للمتصف به.

ومفهوم الصدق عند عوام المسلمين قاصر على صدق اللسان ولكن هو فى الحقيقة صدق اللسان وصدق القلب وصدق الأفعال والأحوال.

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: إن صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال

الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح.

فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد الفتح العليم لا إله غيره ولا رب سواه.

فإذا تحلى السالك بالصدق استطاع أن يسير بخطى سريعة نحو مراتب الإيمان العالية إذ هو القوة الرافعة والمحركة وهو الصفة اللازمة لكل مقام من مقامات السلوك إلى الله تعالى.

فاول مراحل السير هو صدق العبد في إنابته إلى ربه بالتوبة النصوح التي هي أساس الأعمال الصالحة واول درجات الكمال.

والصدق في تهذيب النفس الأمانة يحقق النجاح الكبير في التخلص من أمراضها وشهواتها ويطهر القلب من الخبائث حتى ينتهي إلى الإيمان الذوقى الذى وصفه رسول الله ﷺ بقوله (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً) والصدق فى محاربة الشيطان والتخلص من وساوسه يجعل المؤمن فى نجاه من كيدته وأمان من شوه كما يجعل الشيطان فى يأس وقنوط من إضلاله وغوايته.

والصدق فى إخراج حب الدنيا من القلب يحمل الإنسان على المجاهدة المستمرة بالصدق والإيثار والتعاون الخيرى، حتى يتخلص من حبها وينجو من سيطرتها على قلبه.

والصدق فى طلب العلم تخلصا من الجهل وتصحيحا للعمل يحمل الإنسان على الاستقامة والمثابرة، وتحمل المشاق وسهر الليالى كى ينال منه أوفر نصيب وأكبر قسط وما نبغ العلماء إلا لصدقهم وإخلاصهم وصبرهم.

والصدق فى العمل هو ثمرة العلم وغايته إذ يجعل العبد فى ارتقاء دائم ويجعل علمه سببا فى كماله ولا بد من إخلاص فى ذلك وإلا قد يدخل على السائر بعض العلل الموقفة له عن مطلوبة من حب الشهرة والسمعة والالتفات إليها.

فالإخلاص فى الصدق يزيل هذه الشوائب من طريق الغاية المنشودة وهى رضاء الله تعالى ومعرفته ومحبته.

قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى (الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة).

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يلزموا أهل الصدق ليستفيدوا من حالهم وينتفعوا من صدقهم فقال:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

ووصف الله تعالى الصادقين بالقلّة وأنهم الفئة المختارة من المؤمنين فقال: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). وقال معروف الكرخي رحمه الله تعالى إلى قلّة الصادقين:

(ما أكثر الصالحين وأقلّ الصادقين في الصالحين!)
وقد أخبر الله تعالى أن العبد يوم القيامة يجنى ثمار صدقه ويكون صدقه سبب نفعه ونجاته فقال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم).

وقد أوضح الرسول ﷺ أن الصدق يثمر طمأنينة القلب وراحة الفكر بينما يسبب الكذب حالات من القلق والاضطراب والشك وعدم الاستقرار.

فقد روى الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال:

حفظت من رسول الله ﷺ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة).

واعلم يا أخا الإسلام

أن من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص تجرى حركاته وسكناته على حسب مافى قلبه، فيظهر بالصدق والإخلاص فى أحواله وأقواله وأعماله لأن من أسر سريرة ألبسه الله رداءها.

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى:

(حق على كل من فهم عن الله تعالى أن يلزم الصدق فى الأقوال والإخلاص فى الأعمال والصفاء فى الأحوال فمن كان كذلك لحق بالابرار ووصل إلى رضاء الغفار).

فعليك أيا الأخ المسلم أن تكون صادقا فى أقوالك لأن الكذب من صفات المنافقين.

قال عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان).

وكن صادقا فى طلب الوصول إلى الله تعالى فالمقاصد العالية لا تتال بالتشهى لذلك قيل (لا ينال الوصول من كان فى قلبه شهوة الوصول) بل يناله بالجد والإجتهد.

وعمر قلبك بالصدق لتتبعث منه الهمة والنشاط فى سيرك إلى الله تعالى وكن صادقا فى موافقتك لربك أمرا ونهيا، وفى اتباعك لرسوله ﷺ حتى تتحقق بالعبودية لله تعالى فهى أمنية السالكين لربهم فى جميع مراتبهم ومقاماتهم.

تعريف الإخلاص

قال ابو القاسم القشيري رحمة الله عليه عرفنا الإخلاص (الإخلاص أفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شىء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده عند الناس أو محبة مدح لمخلوق أو معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى وقال ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى: (الإخلاص: التوقى عن ملاحظة الخلق، فالمخلص لارياء له).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:

(ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما).

وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى:

(الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى:

(حق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليه فمتى خالف ذلك لم يكمل إخلاصه بل سماه بعضهم رياء).

أهمية الإخلاص في الكتاب والسنة:

لما كان قبول الأعمال موقوفاً على وجود الإخلاص فيها أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالإخلاص في عبادته تعليماً لهذه الأمة فقال: (قل إنبي أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين).

وقال سبحانه (قل الله أعبد مخلصاً له ديني).

وقال عز وجل (فأعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص).

كما أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية، والمالية خالصة له تعالى بعيدة عن الرياء فقال (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).

وأوضح الحق أن السبيل إلى لقاء الله تعالى يوم القيامة لقاء رضى وإنعام هو العمل الصالح الخالص لوجه الله السليم من ملاحظة الخلق فقال سبحانه:

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً).

وقد سمي الرسول ﷺ الرياء شركاً أصغر تارة وسماء شرك السرائر تارة أخرى. وأخبر أن الله تعالى سوف يتبرأ من المرأتى يوم القيامة ويحيله إلى الناس الذين أشركهم في عبادته.

عن أبي أمامة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:
(أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال ﷺ: لاشيء
له، فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول الله ﷺ لاشيء له ثم قال:
إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به
وجهه).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن
الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى
قلوبكم).

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول: (من صام يرائي فقد أشرك ومن صلى يرائي فقد أشرك
ومن تصدق يرائي فقد أشرك).

وعن محمود بن لبيد قال:

خرج النبي ﷺ فقال: (يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر
قالوا يارسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلى
فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك
السرائر).

وقال ﷺ (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا
وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز
وجل إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء).

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك).

أقوال العلماء فى أهمية الإخلاص:

قال مكحول رحمه الله تعالى: (ما أخلص عبد أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه).

وقيل لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: أى شىء أشد على النفس قال (الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب).

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى (إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء).

مراتب الإخلاص:

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى:

(الإخلاص على ثلاث درجات: إخلاص العوام والخواص
وخواص الخواص).

فإخلاص العوام هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب
الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق
والقصور والهور.

وإخلاص الخواص: طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية
وإخلاص خواص الخواص: إخراج الحظوظ بالكلية لعبادتهم
تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقا إلى رؤيته
كما قال ابن الفارض:

ليس سؤلى من الجنان نعيما

غير أنى أحبها لأراكا

وقال الآخر:

كلهم يعبدون من خوف نار

ويرون النجاة حضا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا

فى رياض ويشربوا السلسبيلا

ليس لى فى الجنان والنار رأى

أنا لا أبتغى بحبى بديلا

وقال: والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبدا والله تعالى أعلم.

وأسمى مقاصد المخلصين أن يرتقوا بإخلاصهم إلى رفع الدرجات ويعبدوا الله مبتغين وجهه دون أن يقصدوا ثوابا:

فما مقصودهم جنات عدن

ولا الحور الحسان ولا الخيام

سوى نظر الجليل وذا مناهم

وهذا مقصد القوم الكرام

وقالت رابعة:

ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك وإنما عبدتك لذاتك. فلو لم يكن ثمة ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لما تأخروا عن عبادتهم ولما انثوا عن طاعتهم لأنهم يعبدون الله ولأن أعمالهم تصدر عن قلب عمره حب الله وحده وطلب قربه ورضوانه بعد أن أدركوا نعمه وألاءه وذائقوا بره وإحسانه.

وليس معنى هذا أنهم لا يحبون دخول الجنة ولا يرغبون في البعد عن النار فهم يكرهون النار ويخافونها لأنها مظهر سخط

الله و غضبه و نقمته و يحبون الجنة و يطلبونها لأنها مظهر حب الله و رضاه و وقربه. كما قالت آسيه زوجة فرعون: (رب ابن لي من الجنة بيتا في الجنة).

فهي طلبت العندية و القرب قبل أن تطلب الجنة طلبت الجوار قبل الديار و لم تكن رغبتها في الجنة إلا لنوال الحب و القرب و الرضا منه تعالى.

وهكذا عندما ترتفع همة العبد و تسمو غاياته يترفع عن ملاحظة لذائذ البدنية و منافع الشخصية سواء كانت دنيوية أم أخروية و يبغى في جميع عباداته الحب و القرب و التحقق بالعبودية الخالصة فعلى قدر همة العبد يكون مطلبه.

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى:

القيام بالأوامر و النواهي لله وحده لا لجلب ثواب ولا لدفع عقاب وهذا حال من عبد الله لله خلاف من عبد الله للثواب و خوف العقاب فإنما عبد لحظ نفسه و إن كان هو محبا أيضا لكنه في درجة الأبرار و ذلك في درجة المقربين.

واعلم يا أخا الإسلام:

أن الإخلاص تصفية العمل من العلل و الشوائب سواء اكان مصدرها التعلق بالخلق كطلب مدحهم و تعظيمهم و الهرب من ذمهم أو كان مصدرها التعلق بالعمل كالاغترار به و طلب العوض عنه.

لذا فإن أهل الهمم العالية أخلصوا دينهم لله وسمعوا نداء الله
في قلوبهم (هفروا إلى الله) فاستجابوا لهاتف الحق وقال قائلهم
ملياً له:

تركت الناس كلهم ورائي وجئت إليك.

الصبر

عرف العلماء الصبر بتعاريف كثيرة وأهمها ما قاله ذو النون المصري رحمه الله تعالى:

(الصبر هو التبعاد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة).

وما ذكره الراغب الاصفهاني رحمه الله تعالى في مفرداته (الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه)

وما ذكره السيد الجرجاني رحمه الله تعالى في تعريفاته (الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله)

ويفهم من تعريف السيد أن الشكوى لله تعالى لا تنافي للصبر وإنما ينافية شكوى الله إلى غيره.

كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقه وضرورة فقال: يا هذا أتشكو (الله) من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها

صبر الكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

والصبر تقسيمات متنوعة وكلها ترجع إلى هذه الأنواع
الثلاثة: صبر على الطاعات وصبر على المعاصي وصبر على
المصائب فالصبر على الطاعات هو الاستقامة على شرع الله
والمثابرة الدائمة على العبادات المالية والبدنية والقلبية ومواصلة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يعترض
ذلك من أنواع الابتلاء وصنوف المحن لأن من ورث عن
رسول الله ﷺ دعوته وجهاده لا بد أن يصيبه ما أصاب رسول
الله ﷺ من تكذيب ومحاربة وأذى قال تعالى حكاية عن لقمان
يوصي ابنه:

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر واحسب
علي ما أحابك).

وقد أقسم الله أن الناجين هم من تحققوا بصفات أربع:
الإيمان والعمل الصالح والنصح للأمة ثم الصبر على ذلك فقال
تعالى:

(والعصر* إن الإنسان لخبث* إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالعق وتواصوا بالصبر).

والصبر على المعاصي هو مجاهدة النفس في نزواتها ومحاربة انحرافها وتقويم اعوجاجها وقمع دوافع الشر والفساد التي يثيرها الشيطان فيها.

قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وكان من المفلحين (قد اقلع من تزكئ* وذكر اسم ربه ضلئ).

وأما الصبر على المصائب: بما أن الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء فإن الله تعالى يختبر إيمان عباده - وهو أعلم بهم - بأنواع المصائب ويمحص المؤمنين بصنوف المحن كي يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق.

قال تعالى: (الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) سواء أكانت هذه المصائب في المال أو في البدن أو في الأهل، قال تعالى: (لتبلون في اموالكم وانفسكم).

وقال تعالى: (ولتبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة).

ولا شك أن المؤمن الصادق يتلقى هذه المصائب بالصبر والتسليم بل بالرضا والسرور لأنه يعلم أن هذه النكبات ما نزلت عليه من خالقه إلا لتكفير ذنوبه ومحو سيئاته قال النبي ﷺ:

(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها).

كما أنه يعلم أن هذه النوازل إنما ترفع المؤمنين الصابرين درجات عالية ومنازل رفيعة عند الله تعالى إذا هو تلقاها بالرضا والتسليم كما قال ﷺ (إذا سبقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمله ابتلاه الله في جسده وفي أهله وماله ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل).

والصبر نصف الإيمان وسر سعادة الإنسان ومصدر العافية عند البلاء وعدة المؤمن حين تدلهم الخطوب وتحقق الفتن وتتوالى المحن وهو سلاح السالك في مجاهدته لنفسه وحملها على الإستقامة على شرع الله تعالى وتحصنها من الإنزلاق في مهاوى الفساد والضلال.

ولعظيم أهميته ورفيع درجاته ومقامه ذكره الله تعالى في القرآن الكريم نحو تسعين موضعا.

فتارة يأمر الله تعالى به فيقول: (استعينوا بالصبر والحلّة) وفي موطن آخر يثنى على أهله فيقول (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).

وفي بعض الآيات يخبر عن محبته للصابرين فيقول سبحانه (والله يحب الصابرين).

وطورا يبين الله تعالى معيته للصابرين معية حفظ وتأيد
ونصر فيقول (إن الله مع الصابرين).

وفى موضع آخر يخبر عن إيجاب الجزاء لهم بغير حساب
فيقول سبحانه (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).

وفى موطن آخر يبين الهداة المرشدين قد نالوا هذا المقام
الرفيع بالصبر فيقول (وجعلنا منهم أئمة يسعون بأمرنا لما
صبروا).

ولقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة مؤكدة فضل الصبر وماله من أثر عميق فى سعادة المؤمن وتلقيه صفات الحياة ونوائب الدهر.

كما تواردت الأخبار المستفيضة عن صبر رسول الله ﷺ وتحمله صنوف الأذى وأنواع الشدائد وحياة الرسول ﷺ كلها صبر وجهاد وتضحية.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (ما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر).

وعن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عجا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له).

وعن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم).

وعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل أنه ليشرك به ويجعل له الولد ويعافيه ويرزقهم).

جزاك الله عنا يا رسول الله خير ما جرى به نبيا عن أمته
ورسولا عن قومه والحمد لله أولا واخيرا وصلى على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف
عبد الحميد كشك

الفهرس

٥	مقدمة
٦	التوبة والزهد
٢٣	شروط التوبة
٢٤	أقسام العباد فى دوام التوبة
٢٦	فوائد التوبة كما قال ﷺ
٣٨	علامة قبول التوبة
٤٣	طريق إلى الله
٥٨	تعريف الإخلاص
٥٩	أهمية الإخلاص فى الكتاب والسنة
٦١	أقوال العلماء فى أهمية الإخلاص
٦٢	مراتب الإخلاص
٦٦	الصبر

رقم الايداع ١٩٨٣ / ٣٤٠٧

I.S.B.N. 977-136-010-3 الترفيم الدولي

 مطابع الكتب المصري الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ب - ٤٤٤١٠٧٠ - ٤٤٤١٠٧٤ - فاكس ٤٤٤١٠٧٧